الفصل الربع

ابذلْ ما تستطيع

«إن أيَّ عملٍ تؤدِّيه ـ حتى ولو كان بِرّاً وإحساناً ـ بدافع من إعجابك به هو في النهاية عملٌ أنانيّ. إننا نؤدي العمل لا لكي نشعر بالسعادة، بل لنعرفَ الآخر ونفيضَ عليه محبَّتنا».

الأب جو واريلو(1)

عندما ضربَ المدُّ البحريُّ الزلزالي الجائح سريلانكا وإندونيسيا بتاريخ 26 كانون الأول (ديسمبر) 2004، أدركتُ أن علينا أن نفعل شيئاً لمساعدة أكثر الناس تضرُّراً بالكارثة. وكانت شركة فيدكس شريكنا الدائم الذي يَخِفُّ إلى النجدة في مثل هذه الظروف. وفي غضون ساعاتٍ من انتشار النبأ اتصل القائمون على فيدكس ليقولوا إن لديهم طائراتِ شحن جاهزةً لنقل المَدَد إلى المناطق المنكوبة حالما نريد.

ولما كانت الكوارث كالأعاصير والزلازل وأمواج المدِّ البحري (التسونامي) تقع ـ وفقاً للأرصاد العلمية ـ على فتراتٍ شبه منتظمة، فإن منظمات الإغاثة باتت على درايةٍ بأساليب الاستجابة السريعة والفاعلة. فشركات النقل من مثل فيدكس و يلو فريت، وكذلك

obeikandi.com

الشركات الصيدلانية من مثل جونسون وجونسون، لديها دوماً ما تقدِّمه عندما تعمل جنباً إلى جنب مع منظمات يمكنها إيصال المواد بأمانةٍ إلى أيدي مَن يستحقونها.

وما برحت الاستجابات الخيِّرة لهذه الشركات تعزِّز يقيني بأن معظم الناس تتوفر لديهم الرغبة في مساعدة الآخرين، لكن سببَ إحجامهم عن ذلك يعود في الغالب إلى جهلهم بالكيفيّة، أو لاعتقادهم بأن ما سيقدِّمونه لا يرقى إلى مستوى المساعدة المفيدة. وهكذا عرضتْ علينا شركة فيدكس طائراتها، وشركةُ يلو فريت شاحناتها، وبادرت مؤسساتٌ أخرى إلى تقديم حمولات الطائرات والشاحنات ـ والجميع قد فعل ذلك بدافعٍ من الرغبة في خدمة الآخرين.

وفي غضون أيام كنا قد استكملنا تحميل طائرات فيدكس بالتبرُّعات الطبيّة والمياه وأجهزة تنقية المياه، ويمَّمنا شطر سريلانكا. وعندما علمنا بمناطق منكوبةٍ يتعذَّر الوصول إليها سمحَ لنا الجيش الأمريكي باستعمال عددٍ من طائراته المروحية لنقل المدد إلى تلك المناطق النائية.

وقد رافقتنا في رحلتنا إلى سريلانكا ثلاثة طواقم تلفزيونية من منطقة كانزاس سيتي، على رأسهم السيناتور الأمريكي سام براونباك. وكانت تلك فرصة للعالم بأسره لا ليعاين حجمَ الدمار الحاصل فحسب، بل ليرى تدفُّق المساعدات من شتى أنحاء العالم كذلك. أناسٌ يعانون وأناسٌ يَفْزَعونهم.

وما أشبه هذه الحملة من المساعدات باستجابة الناس في أعقاب الهجمات الإرهابية على نيويورك وواشنطن دي سي في الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001. فقد اتفق وجودي مع فريق عملي بتاريخ 10 أيلول في مدينة ممفيس (بولاية تينيسي) للتخطيط مع شركة فيدكس لمدِّ بعض الجسور الجويّة الطبيّة للعام القابل. وكان في خطَّتنا مدَّ جسرٍ جوّيٍّ آخر مع الصين لتوفير الأدوية وإقامة ندواتٍ طبيَّةٍ للأطباء والممرِّضين في أنحاء البلاد كلِّها، وجسرٍ ثالثٍ مع الاتحاد السوفييتي السابق الذي كان يعاني من مشكلاتٍ كبيرةٍ تتعلق ببعض الأمراض الناجمة عن الفقر ونقص المؤونة.

كذلك نهضنا بحملات إغاثة عديدة في الولايات المتحدة نفسها ـ في ولاية أوكلاهوما حيث عاثت الأعاصيرُ خراباً في المدن، وفي ولاية فلوريدا بعد أن دمَّرت الأعاصيرُ آلافَ الأميال من المنازل والممتلكات. وقد وصلت جهودُنا مدناً في شتى أنحاء البلاد، فوفَّرنا ملاجئ لحماية النساء والأطفال الذين تعرَّضوا للعنف والاعتداء، وعُنينا كذلك بدور الأيتام والمشرَّدين ممَّن لا مأوى لهم، ونظَّمنا حملاتٍ للإنقاذ وبنوكاً للغذاء.

في اليوم التالي للاعتداءات، والبلاد ما تزال في حالة ذهول تحت وطأة الصدمة، اتصلتْ شركةُ فيدكس لتعرض خدماتها. وكان علينا أن نسعف المشافي الملأى بالمصابين إسعافاً سريعاً بما يلزم، ومن ثم كنّا بحاجةٍ إلى مكانٍ نحشد فيه عدَّتنا، فلم تتوانَ فيدكس في عرض مستودعها الضخم في بروكلين لاستعماله منطلقاً لنا لتوزيع الإغاثة الطبية. ولم تكتفِ بذلك، بل قدَّمت لنا مبنىً آخر في وسط مانهاتن، غير بعيدٍ عن مركز التجارة العالمي.

وعلاقتنا بشركة فيدكس علاقةٌ قديمة بدأت بمدِّ جسرٍ جوّيٍّ مع فيتنام تقدَّم ذكره. وكنتُ قد تحدَّثتُ إلى مجموعة الروتاري في مدينة كانزاس عن رغبة مؤسسة «من القلب إلى القلب» في خدمة شعب فيتنام، وأن الحائل الوحيد دون تحقيقها هو عدم وجود وسيلةٍ لإيصال المَدَد، فالعميلة تنطوي على خطرٍ في المقام الأول. وكنت أسمع عن معاناة الشعب الفيتنامي وقصور موارد المستشفيات عن سدِّ حاجات المناطق الشديدة الفقر من العلاج، واضطرار العيادات إلى استعمال الضمادات والحُقَن وغيرها أكثر من مرة، فتفاقم انتشار الأمراض نتيجةً لذلك أكثر فأكثر.

كانت المشكلةُ هنا واضحة؛ فالشعب الفيتنامي ما زال يُنظَر إليه نظرة عدائية إلى حدٍّ ما. لكن العلاقات بين فيتنام والولايات المتحدة قد تحسَّنت، وبدا لي الوقتُ مناسباً للقيام بخطوةٍ جريئة. على أن العقبة التي برزت ها هنا تمثَّلت في عدم تمكُّني من إقناع أحدٍ بنقل المساعدات جوّاً إلى هناك، إذ كان من الخطر ـ حتى من الناحية السياسية ـ أن يعرض الجيشُ الأمريكي طائرة شحن. وقد أعلمتُ المجموعةَ أن حلَّ هذه المشكلة هو جزءٌ مما كنّا نسعى إليه.

أشارَ عليَّ أحدُ الحاضرين أن أتحدَّث إلى مجموعةٍ أخرى ينتمي إليها، هي مجموعة من المحاربين القدماء. وبعد بضعة أسابيع أخبرتُ هذه المجموعةَ بما تنوي مؤسسة «من القلب إلى القلب» فعله. قال أحدهم إنه يعرف رجلاً يملك طائراتٍ خاصة. وتبيَّن لي بعد ذلك أن الرجلَ المشار إليه ليس إلا فْرِد سميث المديرَ التنفيذي لشركة فيدكس. واتفق أن ذلك المحارب القديم كان يؤدي خدمته في وحدةٍ تابعةٍ لفيلق البحرية مع فْرِد سميث في فيتنام، وقال إنه سيكتب له بذلك.

ولم تمضِ أيام حتى هاتَفَني سميث مستفسراً: «متى تريد التوجُّه إلى فيتنام؟»

وهكذا كانت طائرة فيدكس أولَ طائرةٍ تجارية من الولايات المتحدة تهبط في فيتنام بعد الحرب، محمَّلةً باللوازم الطبية للشعب الذي كنّا نعدُّه عدوّاً لنا.

أما ترى أن الاستجابات «الكبيرة» لحوادث من مثل أمواج التسونامي والاعتداءات الإرهابية قد بدأت بشخصٍ قام بخدمةٍ صغيرة؟ كل ما فعله المحارب القديم هو أنه كتب رسالةً قصيرة، وهذا يؤكِّد أن بإمكان كلِّ فردٍ أن يسهم في التخفيف من مصاب. قد يكون الإسهام كبيراً، كاستخدام طائرات فيدكس، إلا أن ذلك ليس هو المقصود، إذ إن قلَّةً منّا فقط يتمكَّنون من استئجار طائراتٍ ومروحياتٍ وشاحناتٍ ومستودعات، لكن الجميع يستطيعون تقديم شيءٍ ما.

بل لقد لاحظتُ في كلكتّا أن أقلَّ القليل قد يكون ذا أثرٍ ملموس؛ ففي أثناء تنفيذ الجسر الجوّي وأعمال الخدمة الطوعيّة التي ذكرتُها آنفاً، أبدت سيدةٌ دهشتَها من كثرة عدد المحترفين المتخصِّصين في مجموعتنا عندما لاحظت أن عدداً كبيراً من المتطوعين هم أطباء وممرِّضون وفنِّيون ومهندسون ومعلِّمون، بل إن بعضهم من أصحاب الشركات المساهمة في تقديم المعونات. حتى إن أعضاءً من فرقة كوين لموسيقا الروك كانوا معنا تعبيراً عن تأييدهم لمؤسسةٍ أنشئت لمعالجة مرض الإيدز، وسُمِّيت باسم قائد الفرقة فريدي ميركوري الذي قضى بعد صراعٍ طويلٍ مع هذا المرض.

هذه السيدة ليس لديها أية خبرةٍ مهنية، وكثيراً ما كانت تتساءل: «ماذا عساي أن أفعل؟ إنني أم، ولا أجيد غير هذا العمل، ولا أملك شيئاً أقدّمه إلى أولئك المحتاجين».

وكانت مهمّتُها التطوُّعية في كلكتّا العملَ في مستوصفٍ فيه أطفال رُضّع أُحضروا إليه ليموتوا فيه، فليس ثمة مَنْ يرعاهم. ضمَّ المستوصف نحواً من عشرين مهداً أُعدَّت في الأصل بحيث ينفرد كلُّ رضيعٍ بسرير، غير أن هؤلاء الرضَّع كانوا على حالةٍ من الضعف والهزال بحيث اتسع كلُّ مهدٍ لأربعةٍ منهم. وقد أحصت هذه السيدةُ المتطوِّعة ـ واسمها دايان ـ خمسةً وسبعين طفلاً على الأقل، واسترعى انتباهها لوحةٌ على الجدار تقول: «لا تحمل الأطفال».

ولما سألت إحدى الممرِّضاتِ عمّا يُقصد من هذه اللافتة قيل لها:

«إذا حملتِ أحدهم أحسَّ الباقون وبدؤوا بالبكاء إن لم يُحملَوا مثله، ومن شأن ذلك أن يُحْدِث ضجيجاً، إذ من غير الممكن حمل الجميع».

لم تكن دايان تملك شيئاً تقدِّمه سوى ذراعيها الحانيتين؛ لا شيء تقدِّمه سوى...لا شيء.

أمضت دايان سحابةَ يومها ذاك في حمل الأطفال وتعليلهم والدعاء لهم، ولم يكن لديها ما هم بحاجةٍ إليه فعلاً.

ومن السهل، في أحوالٍ فادحة الشدَّة كأمواج المدّ الزلزالي، أن تتابع التقاريرَ الإخبارية فينتابك شعورٌ بالعجز. وحتى في الظروف التي تتوفَّر فيها المساعدات من الأدوية ووسائل النقل، فإن من السهل أن

تشعر بأن ما يمكننا تقديمه مما هو متاحٌ بين أيدينا هو أقلّ بكثيرٍ من أن يكون قادراً على إحداث أي تغيير. على أن هذا الشعور بالعجز لم يَثْنِ فريقاً جامعياً عن القيام بعملٍ ما على كل حال.

فقد كانت فرقةٌ موسيقية تسمى «بوينتليس» من جامعة بوينت لوما نازارين في سان دييغو (كاليفورنيا) في جولةٍ غنائيةٍ على الساحل الغربي عندما علمَ أعضاؤها بأخبار كارثة سريلانكا.

قال جيرارد براون، أحد المغنّين في الفرقة: «جلسنا هناك نشاهد صُوَرَ الكارثة على التلفاز، وذابت قلوبُنا تعاطفاً مع ضحاياها، فعزمنا أن نفعل شيئاً لمساعدتهم».

ما هو هذا الشيء؟ لقد أزمعوا التبرُّع بريع جولتهم، الذي كان من المقرَّر أن يخصَّص لتمويل ألبومهم التالي. تابَعوا برنامجَهم المرسوم تماماً، مع إجراء تعديلٍ بسيطٍ في مآل جزءٍ من عائداتهم المالية لا أكثر ولا أقلّ.

وعند عودتهم إلى سان دييغو وجدوا أقرانهم في الجامعة يحاولون أن يفعلوا شيئاً من لا شيء تقريباً؛ فقد اتفق بعضُ الطلبة مع مطعم الجامعة على الاستغناء مؤقتاً عن وجباتهم والتبرُّع بقيمتها إلى مجهودات الإغاثة؛ واتَّبع بعضُهم الآخر "صياماً عن المشروبات" إلى حين، مستبدلين بالقهوة والأشربة الغازية ماء الصنبور، وتبرَّعوا بالمبلغ الذي كان يترتَّب عليهم دفعه؛ وقرَّر طلبةُ الصف المتقدِّم إلغاء رحلة نهاية العام والتبرُّع بقيمة المبلغ لأعمال الغوث؛ في حين أقام بعضُ

طلاب كلية الموسيقا عدة حفلات خيرية في الكنائس ومراكز رعاية المسنّين والمتقاعدين في سان دييغو، ثم التبرُّع بما اجتمع من عائدات لجهود الإغاثة. وتبرَّع القادرون من الطلبة بشيءٍ من أموالهم، في حين أقامت فرقةُ بوينتليس حفلاً خيرياً ذهبت عائداته إلى إغاثة منكوبي أمواج المدّ البحري (التسونامي).

هكذا يغدو شبه العدم شيئاً مذكوراً؛ أرأيت كيف صار الامتناع عن تناول بعض الطعام والشراب شيئاً؟ وكيف تحوّل إلغاء بعض الرحلات إلى شيء؟ إن بإمكان كلِّ فردٍ أن يحوِّل الإسهام اليسير إلى خدمةٍ مفيدة.

في غضون بضعة أسابيع بلغت عائداتُ تلك الأنشطة جميعاً ـ الحفلات الخيرية، والإسهامات المالية العينية، ومطعم الجامعة، والصوم عن المشروبات، والرحلة الملغاة ـ مبلغاً يزيد على 40,000 دولار تولَّت مؤسسة «من القلب إلى القلب» عملية تحويله إلى مجهودات إغاثة ضحايا التسونامي. ولما كان بإمكان هذه المؤسسة تحويل كلِّ دولار إلى ما يعادل 25 دولاراً من منتَجٍ مكافئ، فقد جُمع أكثر من مليون دولار لهذه الغاية من هذه الجامعة الصغيرة وحدها.

إن الجانب المثير من عملية بذل المستطاع، بقطع النظر عن تفاهة قيمته الظاهرية، هو أنه في الأعمّ الأغلب ما يحتاج إليه الآخر تماماً.

وقد طُبِّقَ بعضُ هذه المبادئ ذاتها في مدرسةٍ رسميةٍ في أحد أفقر أحياء سان دييغو، وكانت النتائج مثيرةً حقاً. تقع مدرسة كينغ ـ شافيز في منطقةٍ تقلَّدت فيها الحكومةُ الفدرالية شؤونَ إدارة المدرسة

الابتدائية العامة، بسببٍ من قصور تلاميذها المتكرِّر عن المستوى المطلوب في الاختبارات الموحَّدة المقرَّرة من الحكومة، علماً بأن جميع طلبة هذه المدرسة بلا استثناء مدرجون على لوائح برنامج الغذاء الحكومي. وقد سُجِّلَ تحسُّنٌ ملحوظ في مستوى الطلاب العلمي بعد وقتٍ قصيرٍ من انطلاق المدرسة، بحيث أصبح أعلى من المستوى المطلوب بكثير.

يقول مدير المدرسة: «هذه المدرسة قائمةٌ على مبدأ المحبة؛ فنحن لا نبدأ بتدريس المنهاج الحكومي المقرَّر، بل بتلقين التلميذ شيئاً من تعاليم الكتاب المقدس: (اقصد مملكة الربّ أولاً تَدِنْ لك الأمورُ الأخرى بعد ذلك»).

ويتابع: «إننا لم نأتِ ببرامج جديدة، بل بدأنا بمحبة التلاميذ. وما إن حلَّت روحُ المحبة حتى ارتفع مستوى التحصيل لدى التلاميذ تلقائياً».

ومن الجدير بالذكر أن جون وولتون، الرجل الثري ابن سام وولتون مؤسِّس مركز وول ـ مارت التجاري المعروف، كان من المموِّلين لمدرسة كينغ-شافيز وغيرها من المدارس الإبداعية المنتشرة في شتى أنحاء البلاد. ولقي حتفه وهو في سن الثامنة والخمسين في حادث طائرةٍ خفيفة سنة 2005. على أنه قام قبل بضعة شهورٍ من وفاته بزيارةٍ مفاجئة للمدرسة.

يقول المدير: «لقد دفعَ الأموالَ اللازمة للانطلاق بهذه المدرسة، دون أية قيودٍ أو شروط. وكنّا نسعد برؤيته كلما حضرَ لزيارتنا».

في سياق هذه الزيارة الخاصة، أثنى وولتون على المدرسة وشؤونها، واستفسرَ بعد ذلك من المدير عن أيِّ خدمة إضافيةٍ يمكنه أن يقدمها إلى المدرسة.

أجاب المدير: «نعم، إن دورات المياه بحاجةٍ إلى تنظيف».

بلا تردُّد قال وولتون: «أين المسحة؟»

غاب وولتون قرابة ثلاثين دقيقة ثم عاد وقد أنجز المهمة!

يقول المدير: «وقفنا لحظةً امتزج فيها التوتُّر بالإكبار، مشدوهين ينظر بعضُنا إلى بعض، وما نَبَسَ أحدُنا ببنت شفة من الذهول لما رأينا».

غادرَ وولتون المدرسة بهدوء كما حضر.

قد يقول قائل إنه لم يفعل شيئاً يُذكَر مقارنةً بما كان يمكن أن يفعل؛ فقد كان بإمكانه أن ينثر مزيداً من ملايين دولاراته. ولربما قيل إنَّ قيامه بمسح الأرض كان مضيعةً لوقته وإمكاناته. والواقع أن ما فعله هو بالضبط ما كان يُحتاج إليه آنذاك، ومن ثم فذلك يعني كلَّ شيءٍ له وللمدرسة كذلك.

بليك نلسون شابٌّ أصيب عندما كان ابن سنتين إصابةً شديدةً في وركه اضطرَّته إلى استعمال جَبيرةٍ غطَّت جذعه واستغرقت إحدى ساقيه كلّياً وساقه الأخرى جزئياً. وهكذا شُلَّت حركتُه مدةَ ستة أسابيع، إضافةً إلى أوجاعٍ مبرِّحة لازَمَته. ولَمَّا كان من المستحيل المحافظة على الجبيرة جافةً تماماً عند منطقة التقاء الساقين، فقد

عانى آلاماً على آلامه نتيجة التهاب جلده من أثر البول. وكانت أسرته تعيش جنوب أوهايو في بيتٍ مُستأجَرٍ سيّئ التهوية، والوقت شهر تموز (يوليو)، وقد استنفد والداه كلَّ حيلةٍ في سبيل التخفيف من حالته البائسة تلك.

وذات مساء حضرت الجارةُ السيدة فليمنغ للزيارة، وكانت قد عاينت كيف يقوم والدا بليك بحمله في عربةٍ مبطَّنةٍ بالوسائد للتنَزُّه والترويح عن نفسه وهو في حالته البائسة «المحنَّطة». ماذا عساها أن تفعل للمساعدة؟

كانت السيدة فليمنغ في الثمانينيات من عمرها، وتزن زهاء تسعين رطلاً إنكليزياً، وقد انحنى ظهرها لهشاشةٍ في عظامها فصار رأسُها عند السير يسبق سائر جسدها. بدت واهنةً ضعيفة لم يتصوَّر والدا بليك كيف يمكنها مساعدة هذا الطفل الملفَّف بأرطالٍ من الجص.

سألتْها والدةُ بليك: «هل في ذهنك فكرةٌ معيَّنة؟»

قالت السيدة فليمنغ: «نعم، أحضرتُ معي شيئاً بإمكاننا أن نتلاهى به».

وأخرجت بالوناً أحمر اللون نفخَتْه وربطت عقدةً في طرفه وقذفته إلى بليك الذي كان مستلقياً على بطانيةٍ في غرفة الجلوس. انفرجت أسارير بليك وردَّ البالون إليها. جلست فليمنغ على كرسيٍّ تلاعبه وتسرِّي عنه بهذه الطريقة.

غادرت مارسيا، والدةُ بليك، الغرفةَ إلى المطبخ وانفجرت باكية؛ فقد كانت تلك المرةَ الأولى التي ترى فيها وليدها ضاحكاً منذ وقوع الحادث، وكان ذلك بمنْزلة صوت الأمل في نفسها. استغلَّت انهماكَ ابنها باللعب مع السيدة فليمنغ لتلتفت إلى بعض شؤون المنْزل التي كانت قد أهملتها متفرِّغة للعناية بولدها.

استغرق اللعب نحو ثلاثين دقيقة. قال لها بليك وهي تودِّعه: «هلاّ عدتِ غداً!»

وقد فعلتْ مراتٍ ومرات طوال أيام نَقَهه.

لم تكن السيدة فليمنغ جرّاحة مختصَّةً بالعظام أو بغيرها من ضروب الاختصاص، غير أنها لم تملك عندما شاهدت الطفل محمولاً في عربةٍ ما به حراك إلا أن تقول في نفسها: «واخجلي، ليتني أستطيع أن أفعل شيئاً، لكنني لا أملك ما أقدِّمه له».

على أنها وجدت لديها وقتَ فراغ وبالوناً ـ لا شيء يستحق الذِّكر، لكنه بالضبط ما كان يلزم بليك ووالديه. حريٌّ بنا أن نذكر دوماً: علامَ نعيش؟ على صنائع صغيرةٍ يقدِّمنا أحدُنا إلى الآخر.

يحكي ويندل بيري في روايته Jayber Crow قصة بلدة صغيرة يُرسَل شبَّانُها إلى الحرب. وجايبر ـ الراوي ـ هو حلاّق البلدةً الذي يقصده الناسُ لا للحلاقة فقط، بل لأنهم بحاجةٍ إلى شخصٍ يستمع إليهم.

وفي وقتٍ متأخرٍ من إحدى الليالي، وبعد أن أغلق جايبر محلَّه، جلس وحده على كرسيِّ الحلاقة يقرأ. وإذ بزبونٍ لَه ـ يدعى مات فيلتنر ـ يمرّ وينظر من النافذة، وقد أشيع أن ابنه فيرجل قد فُقِد في الحرب. دعاه جايبر إلى الدخول.

تحدَّث جايبر ومات في أمورٍ كثيرة ـ عن أخبار المدينة والطقس وعن شيءٍ من أخبار الحرب، ثم ساد صمت.

أخيراً قال مات إنه رأى في المنام ابنَه فيرجل وهو فتىً صغير. تأكَّد لـ مات في المنام أن ولده لن يُعثر عليه. وفي سياق القصة يتابع جايبر روايته:

«أخبرني ذلك بصوتٍ رصين ثم قال: كلُّ ما استطعتُ فعله أنني حضنتُه وبكيت».

«عدتُ لا أحتمل البقاء جالساً على ذلك الكرسي العالي فتركتُه وجلستُ إلى جانب مات».

«أوشكنا أن نبكي معاً، لكننا لم نفعل. طال مكوثُنا دون أن ننبس بكلمة».

«بعد هنيهةٍ سكن الحزن مع أنه لم يتبدَّد، وبدا الأمر وكأن عاصفةً هوجاء قد هدأت أخيراً».

«ثم نهض مات وقال لي وهو يتَّجه نحو الباب: (حسناً. شكراً لك)، وابتعد دون أن ينظر إليَّ»(2).

ليس من الضروري أن يكون العونُ طائرةَ مَدَدٍ إلى سريلانكا (مع عظَم أهميَّتها في مساعدة الناس)؛ ولنعلم أنه إذا غدت خدمةُ الناس جزءاً من حياتنا اليومية، فلن نجد غضاضةً في تقديم شيءٍ غير ذي بال، كالاستغناء عن وجبة طعام، أو الاكتفاء بشرب ماء الصنبور، أو فتح ذراعينا بحنان، أو تنظيف دورات المياه، أو قذف بالون، أو ترك كرسيٍّ مريح.. وكلُّها أمورٌ لا تكلِّف شيئاً.

إن ما يبدو أنه لا شيء قد يعني لشخصٍ بعينه كلَّ شيء.